

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني بأثر السياق

د. إيمان بنت عبد الله العمودي (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن للسياق القرآني خصائص عدة تجعله عن باقي السياقات متفرداً بالكمال، يلف مفرداته وآياته في كنف العذوبة والجمال، فيبرز إليك سمو المعاني، ويكشف لك عن روعة المباني.

وإن الدارس في دقائق التفسير ثم في أعماق الأسلوب القرآني والتعبير، ليجد أن السياق القرآني بسباقه ولحاقه، وظلاله وأفيائه، يرتبط وثيق الارتباط بعدة عوامل في السورة الواحدة^(١)، ومنها الأسلوب القرآني ائتلافاً واختلافاً وغير ذلك. فأحببت أن أطلع على شيء من مكنون السياق القرآني في بيانه ودلالته؛ لأستكشف ولو سطرًا من جمال أثره على الأسلوب البديع في هذا الكتاب العظيم،

(*) الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) "فالسباق هو علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة، وذلك لأن الكلمات ليست أجساماً بلا أرواح، ولكنها حيّة متحركة تعطي إشعاعات معينة للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح الذي يفتح المغلق منها أو المصباح الذي يهتدي بضوئه على تحديد معاني الكلمة المشتركة". المشترك اللفظي في الحقل القرآني (ص: ٢٣).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

من خلال سورة محمد ﷺ، التي تلفتني كثيراً في مواطن التشابه والاختلاف في الأسلوب عامةً، فاستخرت الله تعالى وعزمت أمري على كتابة هذا البحث اليسير، ووسمته بعنوان:

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني بأثر السياق

سورة محمد ﷺ أنموذجاً

أسأل الله تعالى أن يجعله صواباً خالصاً، ماتعاً نافعا، إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

*** أهمية الموضوع:**

- (١) القيمة التفسيرية الرفيعة للأسلوب القرآني العظيم.
- (٢) المكانة التي يتبوؤها السياق القرآني من فهم المعاني، وعناية المفسرين به.
- (٣) أن فيه رداً على الطاعنين في القرآن الكريم ومصدريته، وأنه لا يمكن أن يكون إلا تنزيلاً من حكيم عليم.
- (٤) أنه مما يعين على حسن تدبر كتاب الله تعالى.

*** أسباب اختياره:**

- (١) الرغبة في ممارسة فن التفسير البياني بالربط بين الأسلوب القرآني، والسياق الذي ورد فيه.
- (٢) الإضافة اليسيرة لمكتبة التخصص سيما في التفسير البياني من خلال البحث وتوصيته.

*** أهداف البحث:**

- (١) الوقوف على العلاقة بين السياق والأسلوب القرآني، وتكييفها في إطار التشابه والاختلاف الأسلوبي بين الآيات المتأخية في المضمون.
- (٢) الكشف عن أثر دلالة السياق في توجيه اختلاف الأسلوب القرآني.

*** أسئلة البحث:**

- (١) ما هي العلاقة بين السياق ودلالته من جهة، وتغاير الأسلوب القرآني بين الآيات المتشابهات في المضمون؟
- (٢) كيف تؤثر دلالة السياق على توجيه الاختلافات في الأسلوب القرآني؟

*** حدود البحث:**

تتطلق الدراسة من سورة محمد ﷺ، وذلك بانتقاء الآيات التي تتشابه أو تتقارب لفظياً مع آيات أخرى في نفس السورة أو غيرها، ويكون للسياق أثر في توجيه اختلاف الأسلوب فيها.

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

*الدراسات السابقة:

لم أف على دراسة مماثلة لهذه الدراسة، ولكن وقفت على بعض الدراسات المقاربة في العنوان المختلفة كلياً في المضمون وهي:

(١) أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي في النص القرآني، للباحثة: أم كلثوم بن يطو، وهو بحث تكميلي لنيل الماجستير، من جامعة محمد بوضياف بالجزائر، عام ١٤٣٧ هـ، وهي كذلك تختلف كلياً مع هذا البحث، فهي تخص المتشابه اللفظي، وهذا البحث في الأساليب لا في الألفاظ.

(٢) أثر السياق على بعض الأساليب القرآنية، للباحثة: أسماء إبراهيم عباس، وهو بحث محكم منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية في جامعة الأنبار بالعراق، في العدد (٦٠)، عام: ١٤٤١ هـ، وهي تختلف كلياً عن هذه الدراسة، حيث بحثت أثر السياق على أساليب قرآنية منتخبة، أما هذا البحث فيبحث أثر السياق على توجيه اختلاف الأسلوب بين الآيات التي تحوي شيئاً من التشابه كما ذكرت.

(٣) كتاب مراعاة المقام في التعبير القرآني، لأستاذ البلاغة: أ.د. فاضل بن صالح السامرائي، والفرق بينه وبين هذه الدراسة، أنه تحدث فيه عن عموم مراعاة المقام (السياق القرآني) وهذه الدراسة أفردت الحديث عن (تأثير السياق في توجيه الاختلاف الأسلوبي)، كما أنه أفرد فيه الدراسة لأسلوب الذكر والترك، وأسلوب الالتفات، وأفدت منه في مواضع لم أجد لها عند غيره.

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

خطة البحث

انتظم هذا البحث في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

*المقدمة: وفيها عنوان البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، والدراسات السابقة، وخطته، ومنهجه.

*الفصل الأول: وفيه التعريف بأهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث، وبالسورة محل الدراسة، وفيه:

أولاً: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

ثانياً: بين يدي سورة محمد ﷺ.

*الفصل الثاني: توجيه اختلاف الأسلوب القرآني في سورة محمد ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكر إضلال أعمال الكفار بين الماضي والمضارع.

المبحث الثاني: ذكر عاقبة أعمال الكفار بين الإضلال والإحباط.

المبحث الثالث: ذكر إضلال أعمال الكفار مجرداً، وإحباطها مقترناً بعوامل لفظية متعددة.

*الفصل الثالث: توجيه اختلاف الأسلوب القرآني بين سورة محمد ﷺ وغيرها من السور، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: حول وصف الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بين ضلالهم

وإضلالهم.

المبحث الثاني: حول عدم تدبر الكفار للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: حول مشاققة النبي ﷺ خاصة ممن قد تبيّن له الهدى.

المبحث الرابع: حول إرشادات الله تعالى للمؤمنين حال أقيام الكفار في ساحة

الحرب.

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

المبحث الخامس: حول دخول المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار وما يحف به من القرائن.

المبحث السادس: حول استماع المنافقين إلى النبي ﷺ.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي المقارن على النحو التالي:

- ١) تصنيف الآيات في سورة محمد ﷺ وفق التشابه والاختلاف في نفس السورة وبقية السور.
- ٢) تبويب المباحث حسب تصنيف الاختلاف، وفق تسلسل الآيات في السورة، وعند تكرار الآية فإني ألحقها بسابقتها في التصنيف.
- ٣) ذكر الآيات موطن الاختلاف، بتقديم آية سورة محمد ﷺ وعزوها إلى سورها وأرقامها، مع ذكر المعنى الإجمالي للآية.
- ٤) تحرير موضع التشابه والاختلاف.
- ٥) ذكر توجيهات المفسرين أو البلاغيين -الخاصة بالسياق- وأجتهد فيما لم أقف لهم فيه على شيء.
- ٦) ذكر خلاصة التوجيه في نهاية كل دراسة.
- ٧) عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية، ورسمها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث، وعزو الأقوال إلى قائلها بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة، باختصار بعض الأسماء المطولة للتفاسير.

**

الفصل الأول

التعريف بأهم المصطلحات الواردة

في عنوان البحث وبالسورة محل الدراسة

أولاً: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

أورد فيما يلي إيجازاً للتعريف بالمصطلحات التالية:

(١) التوجيه: يدور تعريف التوجيه حول بيان الوجه المقصود من الشيء.

فالتوجيه لغة: يقال: "وجهت الشيء: أي جعلته على جهة واحدة"^(١).

اصطلاحاً: "التوجيه: جعلُ الكلام ذا وجهٍ ودليل"^(٢).

(٢) الاختلاف: يدور تعريف الخلاف والاختلاف حول المغايرة والمضادة

والمعارضة.

فالاختلاف لغة: ضد الاتفاق، قال الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ): "والخلافُ:

المُخَالَفَةُ ... وَاخْتَلَفَ: ضِدُّ اتَّفَقَ"^(٣).

اصطلاحاً: "الاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلَّ واحد طريقاً غير طريق الآخر

في حاله أو قوله، والخلافُ أعمُّ من الضدِّ، لأنَّ كلَّ ضدِّين مختلفان، وليس كلَّ

مختلفين ضدِّين"^(٤).

(٣) الأسلوب: يدور تعريف الأسلوب حول طريقة عرض الكلام.

وهو لغة: "الأسلوب: الطريقة يقال أخذ في أساليب من القول أي في طرق

منه"^(٥).

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١١/٧٠٨٣).

(٢) التعريفات الفقهية (ص: ٤٦).

(٣) القاموس المحيط (ص: ٨٠٨).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٩٤)، وانظر: التعريفات (ص: ١٠١).

(٥) جمهرة الأمثال (١١/١٦٦).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

الأسلوب في الاصطلاح: "هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"^(١).

٤) **الأسلوب القرآني**: هو مفرد الأساليب القرآنية وقد عرفناها بأنها: "طرائق القرآن الكريم وأفانيه في صياغة المعنى؛ ليكون أقرب لنيل المقصود من كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته، وأبلغ في نفوس سامعيه"^(٢).

٥) **السياق**: يدور تعريف السياق حول تسلسل واسترسال. **فالسباق في اللغة**: قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "سَوَّقَ: السين والواو والقاف: أصل واحد، وهو: حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقاً"^(٣). **وفي الاصطلاح**: من التعريفات التي عُرِّفَ بها: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"^(٤).

ثانياً: بين يدي سورة محمد ﷺ

اسم السورة:

تسمى هذه السورة الكريمة باسم نبينا محمد ﷺ، وكذلك تسمى بسورة القتال^(٥).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٠٢/٢).

(٢) كليات الأساليب القرآنية عند المفسرين جمع ودراسة (ص: ٢٥).

(٣) مقاييس اللغة (١١٧/٣).

(٤) نظرية السياق القرآني (ص: ١٥).

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨٠/٢١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٠/٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤٣٠/١)، التحرير والتنوير (٧١/٢٦).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

نوعها:

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "وهي مدنية بالاتفاق حكاها ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) وصاحب الإتيقان (١) (٢)، وذكر عن جماعة: أنها مكية، والراجح أنها مدنية.

عدد آياتها:

جمهور المفسرين على أن آياتها ثمان وثلاثون آية (٣).

مقاصدها (٤):

- تناولت هذه السورة الكريمة عدداً من المقاصد الجليلة، وأبرزها ما يلي:
- الجهاد في سبيل الله.
 - بيان بعض أحكام التشريع، لا سيما أحكام القتال والأسرى والغنائم.
 - وصف الكافرين والمؤمنين وجزاء الفريقين في الدنيا والآخرة.
 - أحوال المنافقين، والمرتدين ووعدهم ووعيدهم.

(١) يعني: السيوطي.

(٢) التحرير والتنوير (٧١/٢٦).

(٣) جامع البيان (١٨٠/٢١)، وفصل بعضهم فقال: "وآياتها أربعون في البصرة، وثمان في الكوفة وتسع وثلاثون عند الباقيين" انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤٣٠/١).

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤٣٠/١)، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٤٨٦/٢)، التحرير والتنوير (٧٢/٢٦)، التفسير المنير (٧٥/٢٦).

الفصل الثاني

توجيه اختلاف الأسلوب القرآني في سورة سورة

المبحث الأول: ذكر إضلال أعمال الكفار بالماضي والمضارع

- الآيات موطن الاختلاف:

- ١) قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ١].
- ٢) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٤].
- ٣) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٨].

- المعنى الإجمالي للآيات:

يدور معنى الآيات الثلاث أعلاه حول إثبات إضلال أعمال الكفار، ونفي إضلال أعمال المؤمنين:

- قيل في إضلال أعمال الكفار عدة أقوال متقاربة للمفسرين^(١)، ومن أبرزها أن قيل إن إضلالها: إحباطها بكفرهم، أو إضلالهم عن الهدى بما صرفوا به عن التوفيق، أو إبطال نفقتهم في بدر وذهابها سدى بخسارتهم وهزيمتهم، أو إبطالهم أعمالهم البارة، أو إبطال كيدهم النبي ﷺ بنصرته عليهم.

- وفي تعس الكفار: قيل فيها عدة أقوال^(٢) تحوم حول الشقاء والخسار، ومن ذلك: الخزي والشقاء والبلاء، وقيل الهلاك ومحنة الهزيمة، وقيل العثر والسقوط والانحطاط.

(١) انظر: جامع البيان (١٩٣/٢١)، النكت والعيون (٢٥٦/٣)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣١٤/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠٩/٥)، مفاتيح الغيب (٣٣/٢٨).

(٢) انظر: جامع البيان (١٨٠/٢١)، النكت والعيون (٢٩٢/٥)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣١٨/٤)، المحرر الوجيز (١١٠/٥)، مفاتيح الغيب (٤٢/٢٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٣/١٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٩١/٨).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيات حول ذكر إضلال أعمال الكفار، واختلفت في صيغة الفعل، ففي الآية الأولى والثالثة: ذكر سبحانه إضلال الأعمال في حق الكفار بالإثبات والفعل الماضي فقال: ﴿أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ ، وأما في حق المؤمنين: فبالنفي والفعل المضارع فقال: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾.

- أبرز التوجيهات:

وقفت على عدة توجيهات كلها ترتبط بالثبات والديمومة والاستمرارية كما يلي:
قال الرازي (ت: ٦٠٦هـ): "وأما قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ قد علم معنى الإضلال، بقي الفرق بين العبارتين، في حق الكافر والضال قال: ﴿أَضَلَّ﴾، وقال في حق المؤمن الداعي: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ﴾ ؛ لأن المقاتل داع إلى الإيمان لأن قوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] قد ذكر أن معناه: حتى لم يبقَ إثمٌ بسبب حرب، وذلك حيث يسلم الكافر، فالمقاتل يقول: إما أن تسلم وإما أن تقتل، فهو داع، والكافر صاد وبينهما تباين وتضاد.
فقال في حق الكافر: ﴿أَضَلَّ﴾ بصيغة الماضي، ولم يقل ﴿يُضِلُّ﴾ إشارة إلى أن عمله حيث وجد عدم، وكأنه لم يوجد من أصله.
وقال في حق المؤمن ﴿فَلَنْ يُضِلَّ﴾ ، ولم يقل (ما أضل) إشارة إلى أن عمله كلما ثبت عليه أثبت له، فلن يضل للتأيد وبينهما غاية الخلاف، كما أن بين الداعي والصاد غاية التباين والتضاد"^(١).
وقال الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي في سبب هذا الاختلاف بين الموضوعين:

(١) مفاتيح الغيب (٤١/٢٨).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

"ذلك - والله أعلم - أن المقتول في سبيل الله يجري عليه عمله الذي كان يعمل، كما جاء في الحديث الصحيح، فقد ورد في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان"^(١)... فالعمل مستمر ولن يضل سبحانه؛ لأنه مستمر غير منته"^(٢).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضوع على اختلاف الأسلوب القرآني بالاعتبارات التالية:

(١) باعتبار أن المؤمن داع إلى الإيمان، والداعي إلى الإيمان طالما ثبت عليه فإله يثبته، لا كالصاد عنه، كأن عمله معدوم لا موجود، فعبر في حق المؤمن بالمضارع الدال على الديمومة، وفي حق الكافر بالعكس وهو الماضي.

(٢) باعتبار أن المؤمن -وهو المقتول في سبيل الله- لن ينقطع عمله بعد موته. فلما كان السياق في أهل الإيمان والقتال في سبيل الله تعالى، اختلف اللفظ عنه لما كان في أهل الكفر والضلال.

المبحث الثاني: ذكر عاقبة أعمال الكفار بين الإضلال والإحباط.

- الآيات موطن الاختلاف:

(١) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٨].

(٢) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٩].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، عن سلمان رضي الله عنه، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عزوجل، (٣/١٥٢٠/ح١٩١٣).

(٢) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ٩٩).

د إيمان بنت عبد الله العمودي

- المعنى الإجمالي للآيات:

يدور معنى الآيتين حول عاقبة الكفار، وبعض أسبابها، ومن ذلك ما قيل في:

- تعس الكفار: وقد سبق ذكره.

- إضلال أعمال الكفار: وقد سبق ذكره.

- إحباط أعمال الكفار: قيل هو إبطالها وعدم انتفاعهم بها، وانقلابها عليهم

بسوء العاقبة ودخول النار.

فقال الطبري (ت ٣١٠هـ): "وقوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وذلك عبادتهم الآلهة، لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة، بل أوقفهم بها، فأصلهم سعيرا، وهذا حكم الله جل جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم"^(١).

والإحباط أخص من الإضلال، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "والكراهية: البغض والعداوة، وما أنزل الله: هو القرآن وما فيه من التوحيد والرسالة والبعث، قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]، والباء في ﴿يَأْتَهُمْ كَرْهُوًا﴾: للسببية، وإحباط الأعمال: إبطالها أي جعلها بطلاً، أي ضائعة لا نفع لهم منها، والمراد بأعمالهم: الأعمال التي يرجون منها النفع في الدنيا؛ لأنهم لم يكونوا يرجون نفعها في الآخرة، إذ هم لا يؤمنون بالبعث وإنما كانوا يرجون من الأعمال الصالحة رضى الله، ورضى الأصنام، ليعيشوا في سعة رزق وسلامة وعافية، وتسلم أولادهم وأنعامهم، فالأعمال المحبطة بعض الأعمال المضللة، وإحباطها: هو عدم تحقق ما رجوه منها فهو أخص من إضلال أعمالهم"^(٢).

(١) جامع البيان (١٩٤/٢١)، وانظر: تفسير الصمغاني (١٧١/٥)، مفاتيح الغيب (٤٢/٢٨)،

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٨٧٥).

(٢) التحرير والتنوير (٨٧، ٨٦/٢٦)، وانظر: مفاتيح الغيب (٤٢/٢٨).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيتان حول ما يتعلق بعاقبة الكفار في أعمالهم، فلما بين تعالى أنه أضل أعمالهم، أردف هذا الإضلال بالإحباط وجعله مقترناً بکراهية ما أنزل الله، فقال أولاً: {أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ}، ثم غلظه فقال: {فَأَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ}.

- أبرز التوجيهات:

وقفت على عدة توجيهات كلها تحوم حول السببية المذكورة في السياق، وهي كراهية ما أنزل الله:

قال ابن عادل: "نك التمس والإضلال، بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم، والمراد: أنهم كرهوا القرآن، أو كرهوا ما أنزل الله من بيان التوحيد فلم يعرفوا العمل الصالح بل أشركوا، والشرك يحبط العمل، قال تعالى: {لَنْ أَسْرِكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر: ٦٥]."

وقيل: كرهوا ما أنزل الله من بيان أمر الآخرة، فلم يعملوا لها، والدنيا وما فيها وما لها باطل، فأحبط الله أعمالهم^(١).

وقال الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: "إن في هذا السياق مشقتين شديديتين وخسارتين بالغتين: الإضاعة والإهلاك، فلا أمل يرجونه من أعمالهم! وهل هناك أمل في الموتى؟"^(٢).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضع على اختلاف الأسلوب القرآني بالاعتبارات التالية:

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٧، ٤٣٧)، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (١٤٢/٤).
(٢) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١٠٥)، بيان النظم في القرآن الكريم (ص: ٩٠).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

(١) باعتبار أن الكراهية لما منعتهم من معرفة التوحيد فقد أوصلتهم للشرك، والشرك يحبط العمل.

(٢) باعتبار أن كراهية ما أنزل الله جرتهم لعدم العمل للآخرة فما كان منهم إلا الانغماس في الدنيا، وهي وما فيها بدون التوحيد والإيمان باطل في باطل.

(٣) باعتبار أن هذه الكراهية أضافت لعاقبتهم السيئة عاقبة أسوأ، الأولى: الإضلال (وهو الإضاعة)، والثانية: الإحباط (وهو الهلاك وفيه معنى الإمامة)، فحقيقة الحبط: هو أن ينتفخ بطن الدابة فتموت^(١).

فلما كان في سياق ذكر العاقبة: ذكر للسببية، ناسب ذكر العاقبة المركبة التي ترتبت على ذكر السبب، فهم لما زادوا على كفرهم كراهية ما أنزل الله، عاقبهم بزيادة سوء هذه العاقبة، فزادهم على الإضلال إحباطاً لأعمالهم فلا يرجون بعده أي خير، وذلك هو الخسران المبين والعياذ بالله.

المبحث الثالث: ذكر إضلال أعمال الكفار مجرداً، وإحباطها مقترناً بعوامل لفظية متعددة.

- الآيات موطن الاختلاف:

- (١) قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ١].
- (٢) قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبِّطُ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ٣٢].

- المعنى الإجمالي للآيات:

أما ما يخص الآية الأولى فلن أكرره حيث تم بيانه، ولكن في الآية الثانية قرّن الله تعالى كفرهم بعوامل أخرى أحبطت أعمالهم، وهي الصّد عن سبيل الله،

(١) انظر: لسان العرب (٤/٢٤٧).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

ومشاققة الرسول ﷺ خصوصاً بعد تبين الهدى لهم، وحقّر أمرهم من أنهم لن يضرّوا الله شيئاً.

قال فيها الطبري (ت ٣١٠هـ): "يقول: وخالفوا رسوله محمداً ﷺ، فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث، ورسول مرسل، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته، وأنه لله رسول وقوله: {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً} [آل عمران: ١٧٦] لأن الله بالغ أمره، وناصر رسوله، ومظهره على من عاداه وخالفه {وَسَيُحِبُّ أَعْمَلَهُمْ} [محمد: ٣٢] يقول: وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة، ويبطلها إلا مما يضرهم"^(١).

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيتان في ذكر عاقبة الكفار الصادين عن سبيل الله من حيث عاقبتهم في أعمالهم واختلفتا في متعلق الفعل (بين الإضلال والإحباط)، وصيغة الفعل (بين الماضي والمستقبل)، والتوكيد وعدمه، وزيادة ذكر العوامل السببية لتلك العاقبة، وتحقير شأنهم على النحو التالي:

لما جعل الله تعالى في الآية الأولى عاقبتهم: إضلال أعمالهم وبصيغة الماضي، جعلها في الثانية: إحباط أعمالهم مع تحقير شأنهم {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً} [محمد: ٣٢]، وبصيغة الاستقبال.

وكذلك جاءت الآية الثانية مؤكدة بخلاف الآية الأولى جاءت عارية عن التوكيد.

زيادة العوامل السببية لتلك العاقبة في الآية الثانية وهي مشاققة النبي ﷺ، وكونها حصلت بعد تبين الهدى لهم.

- أبرز التوجيهات:

(١) جامع البيان (٢١/٢٢٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٦٩١٨).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

لم أجد من حقق القول حول الاختلاف بين الآيتين من المفسرين، ووقفت على القول التالي للأستاذ الدكتور: فاضل السامرائي حيث وجه الاختلاف بينهما بعدة اعتبارات حيث قال: "قال تعالى في الآية الأولى من السورة: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ١]، فقال: {أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} بالفعل الماضي، وذلك لما عملوه في الماضي، أما في هذه الآية فقد قال: {وَسَيُحِبُّ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ٣٢]؛ ليفيد أن ذلك لما يستقبل من أعمالهم، فدل في الآيتين أنه أضل أعمالهم الماضية وسيحبط أعمالهم المستقبلية"^(١).

ثم قال: "لقد قال سبحانه: {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} [محمد: ٣٢]، فنفي بـ {لَنْ} التي لنفي المستقبل، وقال {وَسَيُحِبُّ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ٣٢] بمقابل ذلك، فجاء بالسين التي تفيد الاستقبال، و {لَنْ} في النفي تقابلها السين أو سوف في الإثبات، فقولنا: لن يفعل نفي لقولنا: (سيفعل) أو (سوف يفعل)^(٢).

ولما كان الكلام على ما يستقبل من أفعالهم في الكفر والصد عن سبيل الله - وقد تكون كثيرة ومتنوعة ومتعددة - وزاد على كفرهم وصدهم عن سبيل الله: مشاققة الرسول أي: مخالفته وعداوته، أكد ذلك بـ {لَنْ} فقال: {لِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبُّ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ٣٢] وكان الخبر مؤكداً أيضاً في النفي والإثبات، فإن {لَنْ} تفيد توكيد النفي في المستقبل، والسين وسوف تفيدان توكيد حصول الفعل

(١) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١٦٧).

(٢) وقال ابن عاشور: "وحرف الاستقبال هنا لتحقيق حصول الإحباط في المستقبل، وهو يدل على أن الله محبط أعمالهم من الآن إذ لا يعجزه ذلك حتى يترصده به المستقبل، وهذا التحقيق مثل ما في قوله في سورة يوسف {قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} [يوسف: ٩٨]".
التحرير والتنوير (١٢٦/٢٦).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

في المستقبل، فكانت الآية مؤكدة في بدايتها، وفي الإخبار في النفي والإثبات وهو ما يقتضيه المقام، وناسب ذلك التوكيد في هذه الآية وعدم التوكيد في الآية الأولى، أعني: قوله سبحانه: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} [١] {محمد: ١}

وقد ذكرنا الفرق بين: {أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} و{أَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ}، وقد بينا أن {أَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ} أشد، فإن معنى {أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ}: أضاعها، ومعنى: {أَحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ} أي: أمانتها وأهلكها^(١).

فنجد أن الاعتبارات التي وجه بها الاختلاف بين الآيتين هي:

(١) الاختلاف بين ذكر العاقبة بالماضي: {أَضَلَّ}، وبالاستقبال: {وَسَيُحِبُّ}، واستطرد في ذكر سبب ورود {لَنْ} في قوله: {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ} مقابل (السين) في قوله: {وَسَيُحِبُّ}.

(٢) الاختلاف بين توكيد الآية الثانية وعدم توكيد الآية الأولى، وذلك أن سياق الآية الثانية كان مؤكداً في بدايتها بـ {لَنْ} ليناسب عدة عوامل للتوكيد في الآية وهي:

أن أفعالهم في الكفر والصد عن سبيل الله كثيرة ومتنوعة ومتعددة، وزاد على كفرهم وصدهم عن سبيل الله: مشاققة الرسول.

توكيد الخبر في النفي وتوكيده كذلك في الإثبات.

وفي سبب بدء الآية الأولى بالموصول {الَّذِينَ كَفَرُوا} يقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "وفي الابتداء بالموصول والصلة المتضمنة كفر الذين كفروا ومناواتهم لدين الله: تشويق لما يرد بعده من الحكم المناسب للصلة، وإيماء بالموصول

(١) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١٦٧، ١٦٨).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

وصلته إلى علة الحكم عليه بالخبر، أي لأجل كفرهم وصددهم، وبراعة استهلال للغرض المقصود^(١).

- خلاصة التوجيه:

اختلف الأسلوب القرآني لما اختلفت عدة عوامل منها السياق بالاعتبارات التالية:

(١) لما كان في سياق ذكر العاقبة: ذكر للسببية، ناسب ذكر العاقبة المركبة التي ترتبت على ذكر السبب، وذكر الزيادة التي ترتبت على الزيادة، فلما جعل الله تعالى في الآية الأولى عاقبتهم: إضلال أعمالهم، وكان في السياق ذكر كفرهم فقط، جعلها في الثانية إحباط أعمالهم مع تحقير شأنهم، والإحباط أبلغ من الإضلال وأخص منه، والتحقير عقوبة معنوية دنيوية عاجلة، فما المزيد هنا في السياق؟

المزيد هنا: هو عدة عوامل سببية من كسب أيديهم وهي: الصد عن سبيل الله، ومشاقة الرسول ﷺ وهي ليست مشاقة عادية، بل مخصوصة بكونهم قد تبين لهم الهدى! ومع ذلك أصروا على مشاقتهم النبي ﷺ وهذا من عدله تبارك وتعالى.

(٢) ولما كان السياق في الآية الثانية مؤكداً بالعوامل التوكيدية المذكورة والمتعددة، ناسب أن تؤكد بداية الآية الثانية، وأن تخلص الأولى من التوكيد وتصدر بالموصول: براعة للاستهلال وتشويقاً للحكم المناسب للصلة.

**

(١) التحرير والتنوير (٧٢/٢٦).

الفصل الثالث

توجيه اختلاف الأسلوب القرآني

بين سورة حج و مجادل وغيرها من السور

المبحث الأول: حول وصف الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بين ضلالهم
واضلالهم

- الآيات موطن الاختلاف:

(١) قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ} [محمد: ١].

(٢) قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا

[١٦٧] [النساء: ١٦٧].

- المعنى الإجمالي للآيات:

قال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه
عليهم وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته -لزم من ذلك-
ثبوت الأمر المقرر والمشهود به، فوجب تصديقهم، والإيمان بهم واتباعهم، ثم
توعد من كفر بهم فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء:
١٦٧] أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم وصدّهم الناس عن سبيل الله. وهؤلاء هم
أئمة الكفر ودعاة الضلال {قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا} [النساء: ١٦٧] وأي ضلال
أعظم من ضلال من ضل بنفسه وأضل غيره، فباء بالإثميين ورجع بالخسارتين
وفاتته الهدایتان، ولهذا قال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [النساء: ١٦٨] وهذا الظلم هو زيادة
على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه.

والمراد بالظلم هنا أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة
والهداية للصرط المستقيم، ولهذا قال: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا

د. إيمان بنت عبد الله العمودي —————
١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خُلْدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا {١٦٩} [النساء:
١٦٨-١٦٩].

وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية؛ لأنهم استمروا في طغيانهم وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿وَوَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٩] أي لا يبالي الله بهم ولا يعاب؛ لأنهم لا يصلحون للخير ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم^(١).

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيتان في ذكر عاقبة أعمال الكفار الذين جمعوا بين الكفر والصد عن سبيل الله، ومصيرهم:

- فجعل الله تعالى في الآية الأولى عاقبتهم: إضلال أعمالهم وبصيغة الماضي، عارية عن التحقيق والتأكيد.

- وجعلها في الثانية: ضلالهم (لا إضلالهم)، وبصيغة الماضي مؤكدة ومحققة وموصوفة، مؤكدة بأن، ومحققة بـ {قد}، وموصوفة بالبعد.

أبرز التوجيهات:

قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) في سياق الآية الثانية (في لحاقها تحديداً) وهو في قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء: ١٦٨]:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٢١٥)، وانظر: جامع البيان (٦٩٥/٧)، (١٨٠/٢١)، زاد المسير في علم التفسير (١١٥/٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٥١/١)، البحر المحيط في التفسير (١٤١/٤)، اللباب في علوم الكتاب (١٤٠/٧).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

"ثم أخبر تعالى عن الكافرين الذين يصدون الناس عن سبيل الله أنهم قد بعدوا عن الحق وضلوا ضلالاً بعيداً لا يقرب رجوعهم عنه ولا تخلصهم معه... ثم أخبر تعالى عن الكافرين الظالمين في أن وضعوا الشيء في غير موضعه، وهو الكفر بالله، والله تعالى يستوجب منهم غير ذلك لنعمه الظاهرة والباطنة أنهم بحيث لم يكن ليغفر لهم، وهذه العبارة أقوى من الإخبار المجرد أنه لا يغفر، ومثال ذلك أنك إذا قلت: أنا لا أبيع هذا الشيء فهم منك الاغتباط به، فإذا قلت: أنا ما كنت لأبيع هذا الشيء، فالإغتباط منك أكثر، هذا هو المفهوم من هذه العبارة، وقوله تعالى: {وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: ١٦٨-١٦٩] هذه هداية الطرق وليست بالإرشاد على الإطلاق، وباقي الآية بين يتضمن تحقير أمر الكفار، وأنهم لا يبالىهم الله بالة كما ورد في الحديث: "يذهب الصالحون الأول فالأول، حتى تبقى حثالة كحثة التمر لا يبالىهم الله بالة"^(١)، المعنى: إذ هم كفار في آخر الزمان وعليهم تقوم الساعة"^(٢).

وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "والضلال الكفر لأنه ضياع عن الإيمان، الذي هو طريق الخير والسعادة، فإطلاق الضلال على الكفر استعارة مبنية على استعارة الطريق المستقيم للإيمان. ووصف الضلال بالبعيد مع أن البعد من صفات المسافات هو استعارة البعد لشدة الضلال وكماله في نوعه، بحيث لا يدرك مقداره، وهو تشبيه شائع في كلامهم... ومن بديع مناسباته هنا أن الضلال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه، كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين (٥/٢٣٦٤/ح٦٠٧٠).

(٢) المحرر الوجيز (٢/١٣٨).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

الحقيقي يكون في الفيافي والموامي^(١)، فإذا اشتد التيه والضلال بعد صاحبه عن المعمور، فكان في وصفه بالبعيد تعاهد للحقيقة، وإيماء إلى أن في إطلاقه على الكفر والجهل نقلا عرفيا^(٢).

وقال الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: "لقد تقول: لقد قال تعالى في سورة النساء: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا ۝١٦٧} [النساء: ١٦٧] فختم آية محمد بإضلال الأعمال، وختم آية النساء بضلال الكافرين فقال: {قَدْ ضَلُّوا} فلم ذاك؟ والجواب:

أن سورة محمد ﷺ مطبوعة بطابع ذكر الأعمال كما ذكرت، وهي أكثر سورة ذكرت فيها الأعمال مجموعة: {أَعْمَلُهُمْ} و{أَعْمَلُكُمْ} ... فناسب ذلك أن يختم بإضلال الأعمال.

وليس السياق في آية النساء في نحو ذلك، وإنما السياق في الإخبار عن أصحاب الأعمال إذا ذكرهم وذلك نحو قوله سبحانه: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٦١]، وقوله في مؤمني أهل الكتاب بالرسول: {أُولَئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١٦٢] ... فناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه^(٣).

ثم قال: "ومن الملاحظ أنه أكد آية النساء ب: {إِنَّ} فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ولم يؤكد آية محمد وإنما قال: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}: وذلك أنه أخبر في آية النساء عن الذين كفروا وقال عنهم: {قَدْ ضَلُّوا

(١) الموامي، مفردها موماة، قال ابن فارس: "والموماة: المفازة الواسعة الملساء، جمعها موام".

مقاييس اللغة (٢٨٦/٥).

(٢) التحرير والتنوير (٤٦/٦).

(٣) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ٨٣).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

ضَلَّلاً بَعِيدًا} [النساء: ١٦٧] فأكد ضلالهم وحققه ووصفه بأنه ضلال بعيد، فناسب ذلك التوكيد.

في حين أن آية محمد لم يخبر بها عن الكافرين وإنما أخبر بأعمالهم عنهم، فقال: {أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ}، فكان كل تعبير مناسباً لموضعه الذي ورد فيه^(١).

- خلاصة التوجيه:

نجد أن التوجيهات كانت بعدة اعتبارات على النحو التالي:

(١) باعتبار اختلاف تصريف الفعل، بين الإضلال والضللال:

وهو يعود إلى الفرق في سياق كل سورة وطابعها التي طبعت عليه، ففي سورة محمد ﷺ طابع ذكر الأعمال وغلبتها على السياق، فناسب إيراد (إضلال الله تعالى لأعمالهم)، وطابع سورة النساء ذكر أصحاب الأعمال وغلبته على السياق فناسب ذكر (ضلالهم).

(٢) باعتبار تصدير إحدى الآيتين بالتأكيد:

فلما كان في سياق الآية الثانية العديد من عوامل التأكيد، وما يتبعها من العوامل كالتحقيق والوصف، ناسب تصديرها بالتأكيد بخلاف الأولى.

(٣) باعتبار عوامل أخرى موجودة في سياق الآية الثانية في لحاقها:

- النفي الوارد في لحاق الآية في قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} [النساء: ١٦٨] كما أشار إليه ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ).

- الاستعارة والتشبيه، فالاستعارة: في إطلاق الضلال على الكفر، والتشبيه:

في وصف الضلال بالبعد وهو من أوصاف المسافات، كما أشار إليهما ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في كلامه.

(١) المصدر السابق (ص: ٨٤).

المبحث الثاني

حول عدم تدبر الكفار للقرآن الكريم

- الآيات موطن الاختلاف:

- (١) قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٢٤} [محمد: ٢٤].
- (٢) قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ٨٢} [النساء: ٨٢].
- (٣) قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ٦٨} [المؤمنون: ٦٨].

- المعنى الإجمالي للآيات:

حوت الآيات الثلاث استفهاماً انكارياً لعدم تدبر الكفار القرآن الكريم الذي أنزل بين ظهرانهم وبلغتهم، قال الطبري (ت ٣١٠ هـ) في الأولى: "يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواظ الله التي يعظم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ؟، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله؟ فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون؟ {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}: [محمد: ٢٤] يقول: أم أقفل الله على قلوبهم، فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواظ والعبر؟"^(١).

وقال في الثانية: "يعني جل ثناؤه بقوله: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ} [النساء: ٨٢] أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله؟ فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك؟ وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم؛ لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه

(١) جامع البيان (٢١٥/٢١)، وانظر: تفسير السمعاني (١٨١/٥)، المحرر الوجيز (١١٩/٥).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

لبعض بالتحقيق؟ فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض" (١).

وقال مكي بن أبي طالب (ت: ٣٢٧هـ): "قوله تعالى ذكره: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ} [المؤمنون: ٦٨] إلى قوله: {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [المؤمنون: ٧٧]: معنى هذا القول التوقيف والتقيح كقول العرب: الخير أحب إليك أم الشر؟ أي: إنك قد اخترت الشر، ومعناه: أفلم يدبر هؤلاء المشركون كلام الله فيعلموا ما فيه من العبر والحجج؟ {أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٦٨] يعني أسلافهم من الأمم المكذبة قبلهم، بل جاءهم محمد ﷺ؛ بمثل ما أتت به الرسل قبله لآبائهم، فوجب عليهم ألا ينكروا ما جاءهم به محمد ﷺ، لأنه أتى بمثل جاء به غيره من الرسل لآبائهم، وقيل: {أَمْ} هنا بمعنى: {لِئَلَّا}، والتقدير: بل جاءهم ما لم يأت أسلافهم فتركوا تدبره إذ لم يكن عند من سلف لهم مثله ولا أرسل إليهم مثله" (٢).

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيات في أسلوب الاستفهام الانكاري عن عدم تدبرهم للقرآن الكريم، وأما الاختلاف فمن حيث التالي:

(١) تذييل الآيتين الأوليين، ففي سورة محمد ذيلت بقوله: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، وفي آية النساء ذيلت بقوله: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}.

(١) جامع البيان (٢٥١/٧)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٨٢/٢)، بحر العلوم (٣٢١/١)،

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (٣٦٠/٣)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٧٨/١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٨٦/٧)، وانظر: جامع البيان (٨٧/١٧)، زاد المسير في علم

التفسير (٢٦٧/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٥٤/٢).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

٢ / الاختلاف في مبنى الفعل: (يتدبر) في الآيتين الأوليين، و{يَدَّبَّرُوا} في الآية الأخيرة.

٣ / الاختلاف في المتدبر، ففي الآيتين الأوليين: سماه باسمه: {الْقُرْءَانَ}، وفي الأخيرة سماه: {الْقَوْلَ}.

- أبرز التوجيهات:

(١) بالنسبة لاختلاف التذييل بين آية محمد ﷺ وآية النساء، فقد ألمح بعض المفسرين إلى أثر السياق بالسباق واللاحق على هذا الاختلاف:

ففي آية سورة محمد ﷺ: كان السباق من السياق قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ٢٣}.

وكان لحاقها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ٢٥}.

وفي آية سورة النساء: كان السباق من السياق قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ٨١} وكان اللاحق من سياقها قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}

فبالنسبة للسباق في آية محمد ﷺ قال المراغي (ت: ١٣٧١هـ): " {أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْءَانَ} أم عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا {٢٤} [محمد: ٢٤] أي أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواضع الله التي وعظ بها في أي كتابه؟ ويتفكرون في حججه التي بينها في تنزيله؟ فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمون؟ أم هم قد أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ؟

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

والخلاصة- إنهم بين أمرين كلاهما شر، وكلاهما فيه الدمار، والمصير إلى النار، فإما أنهم يعقلون ولا يتدبرون، أو أنهم سلبوا العقول فهم لا يعون شيئاً^(١).
وبالنسبة للسباق في آية النساء قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "الفاء تفريع على الكلام السابق المتعلق بهؤلاء المنافقين أو الكفرة الصُّرَحَاء، وبتوليهم المُعْرَضِ بهم في شأنه بقوله: {وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ٨٠} [النساء: ٨٠]، ويقولهم: {طَاعَةٌ} [النساء: ٨١]، ثم تدبير العصيان فيما وعدوا بالطاعة في شأنه، ولما كان ذلك كله أثراً من آثار استبطان الكفر، أو الشك، أو اختيار ما هو في نظرهم أولى مما أمروا به وكان استمرارهم على ذلك، مع ظهور دلائل الدين، مُنبِئاً بقلّة تفهمهم القرآن، وضعف استفادتهم كان المقام لتفريع الاستفهام عن قلّة تفهمهم، فالاستفهام إنكاري للتوبيخ، والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبير لديهم.

تحدى الله تعالى هؤلاء بمعاني القرآن، كما تحداهم بألفاظه، لبلاغته إذ كان المنافقون قد شكوا في أن القرآن من عند الله، فلذلك يظهرون الطاعة بما يأمرهم به، فإذا خرجوا من مجلس النبي ﷺ خالفوا ما أمرهم به لعدم تفهمهم، ويشككون ويشكون إذا بدا لهم شيء من التعارض، فأمرهم الله تعالى بتدبير القرآن كما قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيحٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ} [آل عمران: ٧] الآية^(٢).
وأما في اللحاق في آية محمد ﷺ فقال المراغي (ت: ١٣٧١هـ): "ولما أخبر بإفعال قلوبهم بين منشأ ذلك فقال: {إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَيَّ أَدْبُرِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ٢٥} [محمد: ٢٥] أي إن الذين رجعوا القهقري على أعقابهم كفاراً من بعد ما تبين لهم الهدى وقصد السبيل، فعرفوا

(١) تفسير المراغي (٢٦/٦٩)، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩٩/٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٣٧/٥).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

واضح الحجج، ثم آثروا الضلال على الهدى عناداً لأمر الله الشيطان زين لهم ذلك وخدعهم بالآمال، وحسّن لهم ما في الدنيا من لذّة يتمتعون بها إلى حين، ثم يعودون كما كانوا مؤمنين، إلى نحو ذلك من وساوسه التي لا تدخل تحت الحصر، ولا يبلغها العدّ^(١).

(٢) وبالنسبة للاختلاف في مبنى الفعل: (يتدبر) في الآيتين الأوليين، و (يدبر) في الآية الأخيرة قال الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: "قال في الآيتين الأوليين: {يَتَدَبَّرُونَ} وقال في الآية الأخرى: {يَدَبَّرُوا} ذلك أن المقام في الآيتين الأوليين يحتاج إلى طول التدبر والتأمل، وأن المقام في الآية الأخرى يحتاج إلى عمق في التدبر ومبالغة فيه ... وإليك إيضاح ذلك:

قال تعالى في آية النساء: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ٨٢}، فالنظر في القرآن وتخريج ما يبدو مختلفاً وهلة يحتاج إلى طول تدبر وتأمل، فطول التأمل والنظر ها هنا متأب من ناحيتين: الأولى: من ناحية أن النظر شامل للقرآن كله على وجه العموم، وليس في قسم منه: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}.

الثانية: ومن ناحية النظر في الاختلاف بين آياته وتخريج ما يبدو مختلفاً فجاء لذلك بلفظ: (يتدبر)، فهذا يراد به التدبر العقلي والنظر الاستدلالي والله أعلم. وقال في آية محمد: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٢٤} وهذا يحتاج إلى طول تدبر ونظر أيضاً وذلك أن قبل هذه الآية قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} [محمد: ٢٣]، فهم مصابون بالصمم

(١) تفسير المراعي (٦٩/٢٦)، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩٩/٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٨٨).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

والعمى، وعلاوة على ذلك أن قلوبهم مقفلة: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]؟

والمصاب بالصمم والعمى محتاج إلى تكرار التذكير وتطاوله للوصول إلى الإدراك الصحيح والفهم السليم، كما أن القلوب المقفلة تحتاج إلى طَرْقٍ كثير وإلى تكرار محاولات الفتح لِنُفُتْحَ، فهذه تستدعي طول التدبر والنظر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه قال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} فجعل القرآن كله موضوعاً للتدبر وليس قسماً منه، فزاد ذلك في وقت التدبرِ وأمدّه، فطول التدبر متأثراً من ناحيتين أيضاً:

الأولى: من ناحية الأوصاف التي تستبعد الفهم.

الثانية: من ناحية كثرة المتدبر وطوله، وهو القرآن الكريم كله.

ثم إن التدبر هاهنا عمل عقلي كما يبدو، فقد ذكر أن السبل التي توصل العقل إلى الحكم الصحيح معطلة! فالسمع معطل، والبصر معطل، والقلوب مقفلة، فكيف يصل العقل إلى الحكم السليم؟

في حين قال في آية أخرى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٦٨]، ولم يقل: (يتدبروا)، وذلك أنه أخذهم على عدم مضاعفة التدبر وعدم المبالغة فيه من ناحية، وأخذهم من ناحية أخرى على عدم إعمال قلوبهم في التدبر، فهم محتاجون إلى تدبر قلوبهم ويحي مواتها^(١).

(٣) وبالنسبة للاختلاف في المتدبر، حيث سماه باسمه: {الْقُرْآنَ} في الآيتين الأوليين، وفي الأخيرة سماه: {الْقَوْلَ}.

فمن لطيف ما أُلْفِتَ إليه أ.د. فاضل السامرائي في ذلك أنه قال:

(١) بلاغة الكلام في التعبير القرآني (ص: ٤٦)، وانظر: مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١٤٩).

د . إيمان بنت عبد الله العمودي

"هذا علاوة على أنه قال: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} ولم يقل: أفلم يدبروا القرآن، كما قال في الآيتين الأخريين، والقول قد يشمل الآية والآيتين منه، فدعاهم إلى تدبر القول، وهذا يتطلب وقتاً أقصر من تدبر عموم القرآن! فلما قصر من المتدبر قصر من التدبر، ولما أطال في الآيتين الأخريين فجعله القرآن كله، أطال البناء، والله أعلم"^(١).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضوع على اختلاف الأسلوب القرآني باعتبار ثلاث:

- (١) اختلاف التذييل وأبانت التوجيهات عن أثر السياق سباقاً ولحاقاً^(٢).
- (٢) اختلاف بناء الفعل، فجاء البناء الأطول لما كان سياقه يحث على عمق التأمل والتدبر، وجاء البناء الأقصر لما كان سياقه لا يتطلب عمق التأمل، وكذلك الإجمال وقصر الكم المتدبر فيه.
- (٣) اختلاف تسمية المتدبر حسب ما دعاهم إليه والوقت الذي يتطلبه، فلما كان المراد القرآن كله ذكره باسمه: {الْقُرْآنَ}، ولما كان المطلوب يتحقق بتدبر جزء منه ولو آية أو آيتين ذكره بجزء منه: {الْقَوْلَ}.

(١) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١٤٩).

(٢) كما أن للسياق أثر آخر على آية محمد ﷺ في ورود المفردة من قوله تعالى: {أَفَأَلْهَأَسْجَى}، فالقفلة يفيد القوة والثبات، وما هو إلا دليل على شدة عنادهم كما دل عليه السياق، مما يؤكد على ما ذكر. انظر: جماليات المفردة القرآنية، (ص: ١١٧).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

المبحث الثالث

حول مشاققة النبي ﷺ خاصة ممن قد تبين له الهدى.

- الآيات موطن الاختلاف:

- (١) قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبِّطُ أَعْمَلَهُمْ ۗ} [محمد: ٣٢].
- (٢) قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۗ} [النساء: ١١٥].

- المعنى الإجمالي للآيات:

تدور الآيات حول مشاققة النبي ﷺ، خاصة بعد تبين الهدى لهم ومعرفتهم الحق.

ففي آية سورة محمد ﷺ قال ابن عطية (ت: ٥٥٤٢هـ): "وقوله: {وَشَاقُّوا الرَّسُولَ} معناه: خالفوه، فكانوا في شق وهو في شق... وألزمهم أنه قد تبين لهم الهدى من حيث كان الهدى بيناً في نفسه، وهذا كما تقول لإنسان يخالفك في احتجاج على معنى التوبيخ له: أنت تخالف في شيء لا خفاء به عليك، بمعنى أنه هكذا هو في نفسه"^(١).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "يخبر تعالى عن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى: أنه لن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات"^(٢).

(١) المحرر الوجيز (٥/١٢١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٣٢٢)، وانظر: جامع البيان (٢١/٢٢٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٦٩١٨).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

وفي آية سورة النساء قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في لفظ المشاقفة، وتبين الهدى للكفار: "وفعل {وَشَاقُفُوا} مشتق من كلمة (شِق) بكسر الشين، وهو الجانب، والمشاقفة المخالفة، كُنِّيَ بالمشاقفة عن المخالفة؛ لأن المستقر بشق، مخالف للمستقر بشق آخر، فكلاهما مخالف، فلذلك صيغت منه صيغة المفاعلة، وتبين الهدى لهم: ظهور ما في دعوة الإسلام من الحق الذي تدركه العقول إذا نهبت إليه، وظهر أن أمر الإسلام في ازدياد ونماء، وأن أمور الآخرين في إدبار فلم يردعهم ذلك عن محاولة الإضرار بالرسول ﷺ كما قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد: ٤١]، فحصل من مجموع ذلك أن الرسول ﷺ رسول الله، وأن الإسلام دين الله^(١).

وقال الطبري (ت ٣١٠هـ): "يعني جل ثناؤه بقوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} [النساء: ١١٥] ومن يباين الرسول محمدا ﷺ معاديا له، فيفارقه على العداوة له {مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} [النساء: ١١٥] يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: ١١٥] يقول: ويتبع طريقا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله؛ لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم {ثَوَلَّىٰ مَا تَوَلَّىٰ} [النساء: ١١٥] يقول: نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئا ولا تنفعه"^(٢).

(١) التحرير والتنوير (١٢٥/٢٦).

(٢) جامع البيان (٤٨٣/٧)، وانظر: بحر العلوم (٣٣٨/١)، المحرر الوجيز (١١٢/٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٢/٢).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

وقال فيها ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له"^(١).

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيتان في ورود لفظ المشاققة وتقييدها بحال تبين الهدى لهم، واختلفتا في:

فعل المشاققة من جهتين:

أ/ الإدغام والفك من جهة.

ب / الصيغة بين الماضي والمضارع من جهة أخرى.

والمبالغة أو التوكيد، والتذييل والتنشيع عليهم، على النحو التالي:

- فأما الإدغام والفك: ففي الأولى: مدغمة: {شَاقُوا} وليست: شاققوا، وفي الثانية: {يُشَاقِقُ}، وليست يشاقق^(٢).

- وأما صيغة فعل المشاققة: ففي الأولى بالماضي، وفي الثانية بالمضارع.

- وأما المبالغة والتوكيد: فبينما قيدت الأولى بحال تبين الهدى فقط، قيدت الثانية بحال تبين الهدى، وكذلك اتباع غير سبيل المؤمنين.

- وأما الاختلاف في التذييل: فذيلت الأولى بتحقيهم وتوعدهم، بتحقيهم: أنه لن ينال الله تعالى من ضررهم شيء، وتوعدهم: بإحباط أعمالهم.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٦٥).

(٢) وقد وردت هكذا مدغمة في سورة الحشر (شَاقُوا وَيُشَاقِقُ) في قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا أَلَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ أَلَّهُ فَإِنَّ أَلَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ سَجَى [الحشر: ٤]}.

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

بينما ذيلت الثانية بتوعدهم بأمرين، وهما المذكوران في قوله تعالى: {تَوَلَّى مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ} [النساء: ١١٥] مع زيادة تشنيع الوعيد عليهم بقوله تعالى: {وَسَاءَتْ مَصِيرًا}.

- أبرز التوجيهات:

فمن حيث صيغة فعل المشاققة فلم أقف على توجيه حول اختلاف صيغته بين المضارع والماضي في آيات هذا الموضوع.

وأما الفك والإدغام، فوقفت على توجيه لفضيلة الأستاذ الدكتور : المثني عبد الفتاح محمود حيث قال: "والذي يظهر والله اعلم بما ينزل أن كلاً من سورتي النساء والأنفال (١) قد جاء حديثها عن مشاققة المشركين (٢)، ومعظم الذين شاقوا رسول الله ﷺ من أهل الحجاز، فجاءت الآيتان على لغتهم وعلى لهجتهم وبما اعتادوه من الكلام؛ لأن من اعتاد لغة معينة ولهجة ثابتة تعامل معها تعاملًا نفسياً مريحاً، وهذا نعرفه من أنفسنا من خلال تعايش الشعوب ذات اللهجات المختلفة بعضها مع بعض، فإذا كان التهديد بنفس اللغة وكان الوعيد بعين اللهجة كان هذا أذعى للاعتبار والاعتاظ والتخويف، فليس التهديد تهديداً بالمعنى وحسب بل هو تهديد بالصوت كذلك، ولك أن تعرف تأثير الصوت واللهجة في حس السامع، فكيف إذا عرفت أن هذا السامع صاحب ذوق واحساس رفيع؟ فما الذي سيصيبه إذا علم أن التهديد قد انطوى بلواء لغته ولهجته؟" (٣).

(١) يعني الآية المشابهة لآية محمد ﷺ في لغة الفك وهي قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ١٣ سجى [الأنفال: ١٣].

(٢) وكذلك سورة محمد ﷺ.

(٣) نظرية السياق القرآني (ص: ١٧٨). وإتماماً للفائدة فقد قال عن آية سورة الحشر: "أما آية الحشر فجاءت على لغة بقية العرب خطاباً لليهود، تمييزاً لهم عن خطاب مشركي مكة، =

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

وفي شأن تحقيرهم وأنهم لن يضرروا الله تعالى شيئاً، يرى الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) أن هذا يتضمن تهديدهم فقال: "وقوله: {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً} [محمد: ٣٢] تهديد معناه: هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول، وهم به يشاققونه وليس كذلك، بل الشقاق مع الله، فإن محمداً رسول الله ما عليه إلا البلاغ فإن ضروا، يضرُوا الرسل، لكن الله منزّه عن أن يتضرر بكفر كافر، وفسق فاسق"^(١).

وأبان ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) ارتباط السباق وأثر دلالاته بالسباق في هذه الآية فقال: "الظاهر أن المعني بالذين كفروا هنا الذين كفروا المذكورون في أول هذه السورة، وفيما بعد من الآيات التي جرى فيها ذكر الكافرين، أي الكفار الصرحاء عاد الكلام إليهم بعد الفراغ من ذكر المنافقين الذين يخفون الكفر، عوداً على بدء؛ لتهوين حالهم في نفوس المسلمين، فبعد أن أخبر الله أنه أضل أعمالهم وأنهم اتبعوا الباطل وأمر بضرب رقابهم، وأن التّعس لهم، وحقرهم بأنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وأن الله أهلك قري هي أشد منهم قوة، ثم جرى ذكر المنافقين، بعد ذلك تُبيّ عنان الكلام إلى الذين كفروا أيضاً؛ ليُعرّف الله المسلمين بأنهم في هذه المآزق التي بينهم وبين المشركين لا يلحقهم منهم أدنى ضرر؛ وليزيد وصف الذين كفروا بأنهم شاقوا الرسول ﷺ"^(٢).

=وذلك أن يهود لم تكن بفصاحة العرب الأفحاح، وبالتالي لم يكن يعينها ما يعني العرب من تغاير اللهجات، فجاء خطابها بالإدغام تمييزاً لها عن خطاب أهل الحجاز وإدخالها في عموم لغات العرب... فالقرآن حتى في لغات الفك والإدغام يخاطب الناس حسب مستوياتهم وقدراتهم، وفيه مطابقة سياق المقال لسباق المقام! وهي إشارة من إشارات إعجاز هذا الكتاب الخالد". المرجع السابق.

(١) مفاتيح الغيب (٦٠/٢٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٢٥/٢٦).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

وفي مزيد التقييد على سبيل المبالغة والتوكيد قال أبو حيان بعد أن فصل القول في مسألة: هل قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} [النساء: ١١٥] مغاير أم لا لقوله تعالى: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: ١١٥] قال: "وقد قلنا: إنه ليس بمغاير، بل هو أمر لازم لمشاقة الرسول، وذلك على سبيل المبالغة والتوكيد وتفضيح الأمر وتشنيعه، والآية بعد هذا كله هي وعيد الكفار"^(١).

وكذلك ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) حيث قال: "وقوله: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: ١١٥] هذا ملازم للصفة الأولى ... ولهذا توعده تعالى على ذلك بقوله: {ثُمَّ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له، كما قال تعالى: {فَدَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبُ بِهِدَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [القلم: ٤٤]، وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]، وقوله: {وَنَدَّرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام: ١١٠] وجعل النار مصيره في الآخرة؛ لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: {أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجُجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} ٢٢ مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: {وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} [الكهف: ٥٣]"^(٢).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضوع باختلاف الأسلوب القرآني بالاعتبارات التالية:

(١) الاختلاف في فعل المشاقة من حيث:

(١) البحر المحيط في التفسير (٦٧/٤)، وانظر: التحرير والتنوير (٩٦/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٥، ٣٦٦/٢).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

أ/ الاختلاف في الفك والإدغام:

لأن الفعل {شَاقُوا} على صيغة الماضي، ولم يُسمع الماضي إلا بتلك اللغة، وإن كان الأصل هو الفك لكن ليس في الماضي، بدليل أنه لما ورد في سورة النساء مضارعاً ورد مفكوكاً؛ لمناسبة لغة أهل الحجاز الذين كان سياق السورتين: (سورة محمد ﷺ وسورة النساء) في شأن مشاقتهم النبي ﷺ.

ب/ الاختلاف بين الماضي في الأولى والمضارع في الثانية:

أجتهد فأقول: إنه بتأمل السياق في الموضوعين، نجد والله أعلم أن السباق في سياق سورة النساء تكررت فيه جمل الشرط، وفعلها كلها مضارع، كقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ١١٠ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١١ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١١٢} [النساء: ١١٠-١١٢].

وكذلك تكرر في اللاحق كقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٤} [النساء: ١٢٤]. وقوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٤} [النساء: ١٣٤].

٢) وأما إيراد التوكيد والمبالغة في الثانية زيادة على الأولى التي ورد فيها تحقيرهم: فلعل ذلك لمناسبة دلالة الفعل المضارع: {يُشَاقِقُ} الدال على التجدد والاستمرارية، مما يدعو إلى التعليل في عرض العقوبة وتشنيعها، والله أعلم.

٣) وأما اختلاف تذييل الآيتين: فلعله لما زاد في الثانية التوكيد والمبالغة بـ (إتباع غير سبيل المؤمنين)، ناسب زيادة التهديد والوعيد والتشنيع بقوله: {نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] والله أعلم.

المبحث الرابع

حول إرشادات الله تعالى للمؤمنين حال نُقْيَاهُم الكفَار في ساحة الحرب.

- الآيات موطن الاختلاف:

(١) قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا

الْوَتَاقَ فَمِآءًا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد: ٤].

(٢) قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَدْبَارَ

{١٥} [الأنفال: ١٥].

- المعنى الإجمالي للآيات:

تدور الآيات حول لقاء الذين آمنوا بالكفار من أهل الحرب في ساحة النزال، قال الطبري (ت ٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا} [محمد: ٤] بالله ورسوله من أهل الحرب، فاضربوا رقابهم وقوله: {حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ} [محمد: ٤] يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبتهم منهم، فصاروا في أيديكم أسرى {فَشُدُّوا الْوَتَاقَ} [محمد: ٤] يقول: فشُدُّوهم في الوتاق، كيلا يقتلوكم، فيهربوا منكم^(١).

وقوله: {فَمِآءًا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد: ٤] يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإما أن يفادوكم فداء، بأن يعطوكم من أنفسهم عوضاً حتى تطلقوهم، وتخلُّوا لهم السبيل"^(٢).

(١) خطأ والصواب لعلها: "أو يهربوا منكم".

(٢) جامع البيان (١٨٢/٢١، ١٨٣)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٦/٥)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٩/٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٨٨٥/١١).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيتان في لقيا المؤمنين بالكافرين من أهل الحرب في ساحة الحرب، واختلفتا في الأسلوب:

- فصدرت الأولى بأسلوب الشرط مباشرة، بينما صدرت الثانية بأسلوب النداء.

- وزادت الثانية على الأولى بتوضيح هيئة اللقاء: {زحفاً}.

- وفُصل في آية سورة محمد ﷺ الإجراء الذي على المؤمنين أن يتخذوه في تلك اللحظة، بينما اقتصر على النهي عن الفرار من الزحف في آية سورة الأنفال.

- أبرز التوجيهات:

- في تصدير آية الأنفال بالنداء:

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "لما ذكر الله المسلمين بما أيدهم يوم بدر بالملائكة والنصر من عنده، وأكرمهم بأن نصرهم على المشركين الذين كانوا أشد منهم وأكثر عدداً وعدداً، وأعقبه بأن أعلمهم أن ذلك شأنه مع الكافرين به اعترض في خلال ذلك بتحذيرهم من الوهن والفرار، فالجملة معترضة بين جملة: {إذ يُوجي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ} [الأنفال: ١٢] وبين جملة {قَلَمَ تَقْتُلُوهُمْ} [الأنفال: ١٧] الآية، وفي هذا تدريب للمسلمين على الشجاعة والإقدام والثبات عند اللقاء، وهي خطة محمودة عند العرب لم يزلها الإسلام إلا تقوية... و(اللقاء) غلب استعماله في كلامهم على مناجزة العدو في الحرب"^(١).

- في ذكر هيئة اللقاء ووصفها بالزحف:

قال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "وتقييد النهي بذلك؛ لإيضاح المراد بالملاقاة، ولتنظيغ أمر الإدبار لما أنه مناف لتلك الحال، كأنه قيل: حيث أقبلتم فلا تدبروا،

(١) التحرير والتنوير (٢٨٦/٩).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

وفيه تأمل، والمراد من تولية الأدبار: الانهزام، فإن المنهزم يولي ظهره من انهزم منه، وعدل عن لفظ الظهور إلى الأدبار؛ تقييحا لانهزام وتنفيرا عنه...^(١).

- وفي التصدير بالشرط وكذلك التفصيل المذكور في سورة محمد ﷺ من ضرب الرقاب وشد الوثاق والافتداء وذكر الأمد:

قال الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: "إن آية محمد إنما هي حكم عام ولم تنزل في حالة حرب معينة، وإنما المقصود أنه لو حصلت حرب فلقيتم الذين كفروا {فَضْرَبَ الرِّقَابِ}، فجاء بالمصدر الذي هو عام، وهو الحدث المجرد غير المقيد بزمن وأما آية الأنفال فقد نزلت في حرب واقعة مخصوصة وهي واقعة بدر^(٢)، وإن كان حكم التولي عن الزحف عاماً^(٣).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضع باختلاف الأسلوب القرآني بالاعتبارات التالية:

(١) التصدير ببناء المؤمنين في آية سورة الأنفال دون آية سورة محمد ﷺ التي بالشرط:

لأن آية الأنفال بمثابة جملة معترضة، وآية محمد ﷺ فحكم عام يبين الإجراء المتبع إذا حصل وتعرض له المؤمنون.

(٢) ذكر هيئة اللقاء ووصفها بالزحف:

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٦٩/٥).

(٢) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ٣٩).

(٣) انظر: فتح القدير (٢/٣٣٥، ٣٣٦).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

لإيضاح المراد بالملاقاة، ولتفطيع أمر الإِدبار، فتقبّح توليتهم الأُدبار وهم في حال الكثرة والقوة والتآزر والتكاتف، حتى يخيل للرأي إليهم عن بعد أنهم يزحفون زحفاً.

(٣) تفصيل الإجراء المتبع في آية محمد ﷺ والاختصار على النهي عن الفرار من الزحف في آية سورة الأنفال: فإن السياق فيها عن حكم عام فناسب ذكر التفصيل الذي ينزل في حالة هذا الحكم العام إذا حصل، ودلّ على ذلك ورود المصدر: {ضَرَبَ}، كما أن الأمر في آية الأنفال موجه للمؤمنين بالنداء، وورد فيه ذكر الحال^(١): {زَحَفَا} قال النحاس: "زحفا: مصدر في موضع الحال"^(٢)، وورود الحال مما يدل على كون الكلام في زمن معين.

(١) وتعريف الحال هو: "الاسم المنصوب، المفسر لما انبهم من الهيئات، نحو قولك: "جاء زيد راكباً" و"ركبت الفرس مسرجاً" و"لقيت عبد الله راكباً" وما أشبه ذلك، ولا يكون الحال إلا نكرة، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام، ولا يكون صاحبها إلا معرفة" الأجرومية (ص: ١٩).

(٢) إعراب القرآن (٩٣/٢).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

المبحث الخامس

حول دخول المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار وما يحف به من القرائن.

- الآيات موطن الاختلاف:

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [١٢: ١٢]

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤]

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]

- المعنى الإجمالي للآيات:

تذكر الآيات جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من إدخالهم الجنات، ووصفها بأحد صفاتها وهو: جريان الأنهار من تحتها.

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) في آية سورة محمد ﷺ: "يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التي لا تتبغي لغيره، يدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به وبرسوله"^(١).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في آية الحج (١٤): "لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا إيمانهم بأفعالهم، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات، وتركوا المنكرات، فأورثهم

(١) جامع البيان (١٩٧/٢١).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

ذلك سكنى الدرجات العاليات في روضات الجنات، ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء قال: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج: ١٤] (١).

وقال الطبري (ت ٣١٠ هـ) في آية الحج (٢٤): "يقول تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال، فإن الله يدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، فيحلبهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً" (٢).

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيات الثلاث حول ذكر عاقبة وجزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من إدخالهم الجنات، ووصفها بأحد صفاتها وهو: جريان الأنهار من تحتها، ثم اختلفت الآيات في الأسلوب بين المقابلة (٣) والتذييل (٤) وزيادة التفصيل على النحو التالي:

- في سورة محمد ﷺ قابل جزاءهم الحسن بجزاء الكافرين السيئ، كما قابل تحقير شأنهم بتشبيه حالهم في الدنيا بأحوال البهائم، إزاء رفعة شأن المؤمنين بالإيمان والعمل الصالح.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٣٥٣)، وانظر: جامع البيان (١٦/ ٧٨).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٤٩٩).

(٣) "وهي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، بما يقابل ذلك على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل؛ نحو: { فَلَیَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَیَبْكُوا كَثِيرًا } [التوبة: ٨٢]". الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (١/ ٩٨).

(٤) "وهو: أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه". الإتيان في علوم القرآن (٣/ ٢٥٠).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

- وفي آية الحج الأولى: (١٤): ذيلت الآية فقط بذكر إرادة الله تعالى تلك العاقبة للمؤمنين بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}.

- وفي آية الحج الثانية: (٢٤): قابل وزاد حسن عاقبتهم في تلك الجنات حسناً وجمالاً وتفصيلاً بقوله تعالى: {يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: ٢٣].

- أبرز التوجيهات:

- ففي المقابلة بين عاقبة المؤمنين والكافرين قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق الكفر، من نصرتنا فريق الإيمان بالله، وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا} [محمد: ١١] يقول: من أجل أن الله ولي من آمن به، وأطاع رسوله"^(١).

وقال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): هو "بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية"^(٢) يقصد قوله تعالى قبلها: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد: ١١]

. وفي تدليل آية الحج (١٤) بذكر إرادة الله تعالى إكرام عباده المؤمنين بذلك الجزاء:

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء قال: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج: ١٤]"^(٣).

كما أنها تضمن المقابلة أيضاً، قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): "ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...}

(١) جامع البيان (١٩٦/٢١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩٤/٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٣/٥).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

[الحج: ١٤] ... وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج: ١٤] أي: بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة، وبأهل معصيته من الهوان^(١).

- وفي المقابلة وزيادة تفصيل حسن عاقبة المؤمنين في آية الحج (٢٤):

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عياداً بالله من حالهم، وما هم فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال، وما أعد لهم من الثياب من النار، ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ} [الحج: ٢٣]... وقوله: {وَلِبَاسُهَا فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: ٢٣] في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم"^(٢).

يقصد قوله تعالى قبلها: {هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ... الآية ١٩}

[الحج: ١٩]

وأضاف الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي وجوهاً أخرى من المقابلة حيث قال: إن قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج: ١٤] فهو مناسب لسياقه فقد ورد قبل الآية في الكافر قوله سبحانه: {يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ... الآية ١٣} [الحج: ١٣] فقد ذكر أن الكافر يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، أما الله فهو يفعل ما يريد، وهو بمقابل ما يدعوه الكافر الذي لا يضره ولا ينفعه.

وأما قوله: {يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ... الآية ١٣} [الحج: ١٣] فهو بمقابل ما ذكره ربنا قبل الآية في هذا الصنف {لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: ٩]:

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٦٢/٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٥٨/٥).

د . إيمان بنت عبد الله العمودي

-فالكافر يدعو لمن ضره أقرب من نفعه، فهو يخزيه في الدنيا ويذيقه رب العزة عذاب الحريق في الآخرة.

-والذي يدعو الكافر ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير، وأما الذي يدعو المؤمن فنعم المولى ونعم النصير.

-وهو يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار بمقابل الكافر الذي يذيقه الله عذاب الحريق.

وأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ... الآية ٢٣﴾ [الحج: ٢٣]: فهو مناسب أيضا، فقد ذكر:

-أن الذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار، وأما الذين آمنوا فلباسهم في الجنة حرير.

-وأن الذين كفروا يصب من فوق رؤوسهم الحميم، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

-وأن الذين كفروا لهم مقامع من حديد، بينما الذين آمنوا وعملوا الصالحات يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا!

-وأن الذين كفروا كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ويقال لهم ذوقوا عذاب الحريق، وأما الذين امنوا فقد ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] (١).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضوع باختلاف الأسلوب القرآني بالاعتبارات التالية:

(١) المقابلة بين عاقبة المؤمنين والكافرين في آية محمد ﷺ:

(١) انظر: مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١١٠، ١١١).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

رغم أن الآيات الأخرى اتسمت بوجود المقابلة بين عاقبة المؤمنين والكافرين، إلا أنها جاءت في آية محمد ﷺ مترادفةً في آية واحدة، وهذا هو طابع السورة والمعهود الأغلب من سياقها، أعني ترادف المقابلة بين الفريقين في نفس الآية أو التي تليها مباشرة^(١).

(٢) تذييل آية الحج (١٤) بذكر إرادة الله تعالى:

حيث ورد في السياق قبلها ما يدل على أن معبودات الكفار من دون الله، لا تفعل ما تريد، بل ضررها أقرب من نفعها.

(٣) زيادة التفصيل في آية الحج (٢٤) في حسن عاقبة المؤمنين في تلك الجنات والمقابلة فيها:

أ/ فأما زيادة التفصيل في جزاء المؤمنين ونعيمهم فيناسب سياق الآية من كثرة التفصيل في عذاب الكافرين وبؤسهم.

ب/ وأما المقابلة فمن حيث:

- ذكر لباس المؤمنين الذي هو من الحرير، وثياب الكفار التي قطعت لهم من نار والعياذ بالله.

- ذكر حلي المؤمنين من أسورة الذهب واللؤلؤ، إزاء مقامع الحديد في النار للكفار.

- ذكر طيب القول الذي هدوا إليه ويسمعونه، يزداد به نعيمهم، إزاء التوبيخ وسيء القول الذي يسمعونه الكفار في النار: {وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: ٢٢]، ويزداد به عذابهم.

اللهم أدخلنا الجنة وأجرنا من النار.

(١) وانظر على سبيل المثال في سباق هذه الآية: آية (٣)، وآية (١٤)، و (الآيات: ٤، ٥، ٦، مع الآية: ٨)، و (الآية: ١٦ مع الآية ١٧).

د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي

المبحث السادس

حول استماع المنافقين إلى النبي ﷺ.

- الآيات موطن الاختلاف:

(١) قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [١٦: محمد: ١٦]

(٢) قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَدِّلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [٢٥: الأنعام: ٢٥]

(٣) قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} [٤٢: يونس: ٤٢]

- المعنى الإجمالي للآيات:

تدور الآيات حول حقيقة استماع المنافقين إلى حديث النبي ﷺ:

قال الطبري (ت ٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد ممن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} [الأنعام: ٢٥] وهو المنافق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاوناً منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلاً عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان، {حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ} [محمد: ١٦] قالوا إعلماً منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله، وتلاوتك عليهم ما تلوت، وقيلك لهم ما قلت إنهم لن يصغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك {مَاذَا قَالَ} [سبأ: ٢٣] لنا محمد {ءَانِفًا} [محمد: ١٦]"^(١).

(١) جامع البيان (٢٠٣/٢١)، وانظر: بحر العلوم (٣٠١/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٩٠٠/١١)، المحرر الوجيز (١١٤/٥).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

وقال السمعاني (ت: ٤٨٩هـ): "قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذا في رؤساء المشركين، مثل: أبي سفيان بن حرب (ت: ٣١هـ) - حين كان مشركاً - وأبي جهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن المغيرة، وغيرهم، كانوا يستمعون القرآن؛ فقالوا: لأبي سفيان (ت: ٣١هـ) ﴿مَا هَذَا؟﴾ فقال: أرى فيه حقا وباطلا. فقال أبو جهل: حتى تفاخرنا واستويننا في المجد، واستوت بنا الركب، تزعمون أن منكم نبياً يا بني عبد مناف، والله لا نقر بهذا، وفي رواية: (للموت) أهون علينا من هذا.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هي جمع "الكنان" كالأعنة جمع العنان وهي الأغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ قال بعضهم: كراهة أن يفقهوه، وقال آخرون: أن لا يفقهوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: وجعلنا في آذانهم صمما، قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): والوقر: أصله الثقل؛ ومن ثقل الأذن جاء الصمم.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ هذا في معجزات النبي، وما أراهم من الآيات" (١).

قال النسفي (ت: ٧١٠هـ): "ومنهم ناس يستمعون اليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْأَصْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢] أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الأمر" (٢).

(١) تفسير السمعاني (٩٥/٢)، وانظر: جامع البيان (١٩٦/٩)، بحر العلوم (٤٤١/١)، النكت والعيون (١٠٣/٢).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٤/٢)، وانظر: جامع البيان (١٨٦/١٢)، معاني القرآن وإعرايه (٢٢/٣)، بحر العلوم (١١٨/٢)، النكت والعيون (٤٣٦/٢)، زاد المسير في علم التفسير (٣٣٢/٢).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

- تحرير موضع الاختلاف:

اتفقت الآيات في نسبة استماع المنافقين إلى النبي ﷺ، واختلفت في صيغة الفعل:

ففي سورة محمد وسورة الأنعام ورد فعل الاستماع بصيغة المفرد: {يَسْتَمِعُ}، وفي سورة يونس فبصيغة الجمع: {يَسْتَمِعُونَ}.

- أبرز التوجيهات:

- الجمهور من المفسرين^(١) وجهوا الاختلاف إلى أن الأفراد: {يَسْتَمِعُ}، باعتبار الحمل على لفظ {مَنْ} وأن الجمع: {يَسْتَمِعُونَ} باعتبار الحمل على معنى {مَنْ}، وأن لفظ: {مَنْ} يصلح للمفرد والجمع.

- قال الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ): "حمل هاهنا مرة على لفظ {مَنْ} فوُحِّد؛ لقلَّتْهم، ومرة على المعنى، فجمع؛ لأنَّهم وإن قُلُّوا جماعة"^(٢).

- وقال الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: "في آية محمد هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ويسمعون كلامه... وقال هنا: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} وفي آية أخرى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ}، ذلك أن المستمعين في آية يونس أكثر، فجاء بواو الجماعة.

ففي آية محمد ذكر من كانوا في مجلسه من المنافقين وهم قلة، أما آية يونس فقد ذكر فيها من يستمع إليه على العموم ولم يحدده في مجلس، فذكر الصم على العموم.

(١) وانظر على سبيل المثال لا الحصر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/١٥٠)، المحرر الوجيز (١/١٥٨)، (٣/١٢٢)، مفاتيح الغيب (٢/٣٠٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٥٧)، (٢/٢٨٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/١٩١).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/١٩١).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

وكذا كل ما ورد في القرآن من قوله: {مَنْ يَسْمَعُ} و {مَنْ يَسْمَعُونَ} فإن {مَنْ يَسْمَعُونَ} أكثر من {مَنْ يَسْمَعُ} (١).

- خلاصة التوجيه:

أثرت دلالة السياق في آيات هذا الموضوع باختلاف الأسلوب القرآني في إيراد صيغة فعل الاستماع بين المفرد والجمع على النحو التالي:

- ففي سياق سورة محمد ﷺ وسورة الأنعام ورد ما يدل على أن الكلام في مجلس النبي ﷺ، كما في قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ۖ} [محمد: ١٦]، وقوله: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجِدُوكَ مُجِدِّدِينَ} [الأنعام: ٢٥].

والمناقضين يومئذ قلة، وهذا ما تواترت به السيرة من حضورهم مجلس النبي ﷺ، فورد فعل الاستماع مفرداً: {يَسْمَعُ}؛ ليناسب -والله أعلم- قلة المستمعين، بخلاف وروده على صيغة الجمع: {يَسْمَعُونَ} في سورة يونس وسياقها عان ليس فيه ما يدل بحصول الحدث في مجلس أو حيز معين، فيعم كل من يستمع إلى النبي ﷺ وهم بلا شك أكثر.

(١) مراعاة المقام في التعبير القرآني (ص: ١٢٢).

الخاتمة

- أهم النتائج:

- توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أوجزها في الآتي:
- ١) أن هناك علاقة وطيدة بين السياق القرآني ودلالته من جهة، وتغاير الأسلوب القرآني بين الآيات المتشابهات في المضمون.
 - ٢) أن العلاقة بين دلالة السياق والأسلوب في الموضع الواحد من القرآن الكريم هي علاقة تأثير وتوجيه وتعليل.
 - ٣) أن الأسلوب القرآني قد يختلف في السورة نفسها أو غيرها انسجاماً مع السياق القرآني الذي يندرج فيه.
 - ٤) أن هناك فروقات دقيقة في الأسلوب القرآني سواء كان ذلك في المفردات: (الحروف والأسماء والأفعال) أو التراكيب، وإنما يكشف عن علتها السياق القرآني وتغايره من موضع لآخر.

- أهم التوصيات:

- دراسة توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني بأثر السياق في القرآن الكريم كاملاً (مشروع علمي من عدة رسائل).
- البحث عن موجهات الأسلوب القرآني في غير السياق، كتوجيه الأسلوب بشبب النزول، أو كنوع المخاطبين وغير ذلك وجمعها في دراسة مستقلة.

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن آجروم، محمد بن محمد. "الأجرومية". (دار الصميعة، ١٩٩٨ م).
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م).
٤. ابن عطية، عبدالحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبدالسلام بن عبدالشافى. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).
٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي بن محمد. (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م).
٦. ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ).
٧. أبو السعود، محمد بن محمد. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
٨. الألوسي، محمود بن عبدالله. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: علي عبدالباري. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).
٩. الأندلسي، محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد. (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ).
١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". (ط٥، دمشق: دار ابن كثير - دار اليمامة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٩ م).
١١. البركتي، محمد عميم. "التعريفات الفقهية". (ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م).

- ===== د ٠ إيمان بنت عبد الله العمودي =====
١٢. البقاعي، إبراهيم بن عمر. "مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور". (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٧م).
١٣. الثعلبي، أحمد بن محمد. "الكشف والبيان عن تفسير القرآن". تحقيق: أبو محمد بن عاشور. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).
١٤. الجوزي، عبدالرحمن بن علي. "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق: عبدالرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).
١٥. الحميري، نشوان بن سعيد. "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم". (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩م).
١٦. الحنبلي، عمر بن علي. "اللباب في علوم الكتاب". تحقيق عادل أحمد وعلي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).
١٧. الحنفي، إبراهيم بن محمد. "الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق: عبدالحميد هندراوي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
١٨. الخازن، علي بن محمد. "لباب التأويل في معاني التنزيل". تصحيح: محمد شاهين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
١٩. الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٢٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". (ط١، بيروت، دمشق: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).
٢١. الزجاج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبدالجليل عبده. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م).
٢٢. الزحيلي، وهبة. "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج". (ط١، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

٢٣. الزرقاني، محمد عبد العظيم. "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط٣)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه).
٢٤. الزمخشري، محمود بن عمر. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣)، بيروت: در الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
٢٥. السامرائي، فاضل صالح. "بلاغة الكلام في التعبير القرآني". (ط٣، عمان: دار عمار، ١٩٩٨م).
٢٦. السامرائي، فاضل صالح. "مراعاة المقام في التعبير القرآني". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ٢٠١٥م).
٢٧. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق: عبدالرحمن اللويحق. (ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م).
٢٨. السمرقندي، نصر بن محمد. "بحر العلوم".
٢٩. السمعاني، منصور بن محمد. "تفسير القرآن". تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس. (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧م).
٣٠. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. "الإتقان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل. (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).
٣١. الشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).
٣٢. الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق: عبدالله التركي. (ط١، دار هجر، ٢٠٠١م).
٣٣. العسكري، الحسن بن عبدالله. "جمهرة الأمثال". (بيروت: دار الفكر).
٣٤. العمودي، إيمان عبدالله. "كليات الأساليب القرآنية عند المفسرين جمع ودراسة". (ط١، الرياض: دار التوحيد، ٢٠١٨م).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

٣٥. فارس الزين، محمد فاروق. "بيان النظم في القرآن الكريم". (ط١، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م).
٣٦. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي).
٣٧. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
٣٨. القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م).
٣٩. القزويني، أحمد بن فارس. "مقاييس اللغة". (دار الفكر، ١٩٧٩م).
٤٠. الفشيري، مسلم بن الحجاج. "صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٥م).
٤١. القيسي، مكي بن أبي طالب. " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". (ط١، الشارقة: جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م).
٤٢. الكلبي، محمد بن أحمد. "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: عبدالله الخالدي. (ط١، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).
٤٣. الماوردي، علي بن محمد. "النكت والعيون". تحقيق: السيد بن عبدالمقصود. (دار الكتب العلمية، بيروت).
٤٤. المثني، محمود. "نظرية السياق القرآني". (ط١، عمان: دار وائل، ٢٠٠٨).
٤٥. المراغي، أحمد بن مصطفى. "تفسير المراغي". (ط١، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م).
٤٦. مكرم، عبدالعال سالم. "المشترك اللفظي في الحقل القرآني". (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

٤٧. النحاس، أحمد بن محمد. "إعراب القرآن". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
٤٨. النسفي، عبدالله بن أحمد. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: يوسف علي. (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م).
٤٩. الواحدي، علي بن أحمد. "الوسيط في تفسير القرآن المجيد". تحقيق: عادل أحمد، علي محمد، أحمد محمد، أحمد عبدالغني، عبدالرحمن عويس. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
٥٠. ياسوف، أحمد. "جماليات المفردة القرآنية". (ط٣، دمشق: دار المكتبي، ٢٠٠٩م).

Bibliography

1. Nobilis Qur'an
2. Abū al-Sa'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad. "Irshād al-‘aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm". (Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-‘Arabī).
3. al-Alūsī, Maḥmūd ibn Allāh. "Rūḥ al-ma‘ānī fī tafsīr al-Qur’ān al-‘Azīm wa-al-Sab‘ al-mathānī". taḥqīq : ‘Alī ‘bdālbāry. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1415h).
4. al-‘Amūdī, Īmān Allāh. "Kullīyāt al-asālīb al-Qur’ānīyah ‘inda al-mufasssīrīn jam‘ wa-dirāsāt". (Ṭ1, al-Riyāḍ : Dār al-tawḥīd, 2018m).
5. al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf. "al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr". taḥqīq : Ṣidqī Muḥammad. (Bayrūt : Dār al-Fikr, 1420h).

د ٠ د إيمان بنت عبد الله العمودي

6. al-‘Askarī, al-Ḥasan ibn Allāh. "Jamharat al-amthāl". (Bayrūt : Dār al-Fikr).
7. al-Biqā‘ī, Ibrāhīm ibn ‘Umar. "Maṣā‘id al-naẓar lil-ishrāf ‘alā Maqāṣid al-suwar". (Ṭ1, al-Riyāḍ : Maktabat al-Ma‘ārif, 1987m).
8. Albrkty, Muḥammad ‘Umaym. "alt‘ryfāt al-fiqhīyah". (Ṭ1, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2003m).
9. Albrkty, Muḥammad ‘Umaym. "alt‘ryfāt al-fiqhīyah". (Ṭ1, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2003m).
10. al-Bukhārī‘ Muḥammad ibn Ismā‘īl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī taḥqīq : D. Muṣṭafā Dīb al-Bughā, ṭ5, 1414h-1993M, Dār Ibn Kathīr, Dār al-Yamāmah, Dimashq.
11. Al-Fayrouzabadi, Muhammad bin Yaqoub. Ocean Dictionary. (8th editio: Berytus: fundatio Al-Risala, 1426 AH - 2005 AD).
12. al-Fayrūz Ābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb. "Baṣā’ir dhawī al-Tamyīz fī Laṭā’if al-Kitāb al-‘Azīz". (al-Qāhirah : Lajnat Iḥyā’ al-Turāth al-Islāmī).
13. al-Ḥanafī, Ibrāhīm ibn Muḥammad. "al’ṭwl sharḥ Talkhīṣ Miftāḥ al-‘Ulūm". taḥqīq : ‘Abd-al-Ḥamīd Hindāwī. (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah).
14. al-Ḥanbalī, ‘Umar ibn ‘Alī. "al-Lubāb fī ‘ulūm al-Kitāb". taḥqīq ‘Ādil Aḥmad wa-‘Alī Muḥammad. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1998M).
15. al-Ḥimyarī, Nashwān ibn Sa‘īd. "Shams al-‘Ulūm wa-dawā’ kalām al-‘Arab min alklwm". (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Fikr al-mu‘āṣir, Dimashq : Dār al-Fikr, 1999M).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

16. al-Jawzī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn ‘Alī. "Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr". taḥqīq : ‘Abd-al-Razzāq al-Mahdī. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1422H).
17. al-Kalbī, Muḥammad ibn Aḥmad. "al-Tas’hīl li-‘Ulūm al-tanzīl". taḥqīq: Allāh al-Khālidī. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, 1416h).
18. al-Khāzin, ‘Alī ibn Muḥammad. "Lubāb al-ta’wīl fī ma‘ānī al-tanzīl". taḥqīq : Muḥammad Shāhīn. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1415h).
19. al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafā. "tafsīr al-Marāghī". (Ṭ1, Miṣr : Maṭba‘at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh, 1946m).
20. al-Māwardī, ‘Alī ibn Muḥammad. "al-Nukat wa-al-‘uyūn". taḥqīq: al-Sayyid ibn ‘bdālmqšwd. (Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt).
21. al-Muthanná, Maḥmūd. "Naẓarīyat al-siyāq al-Qur’ānī". (Ṭ1, ‘Ammān: Dār Wā’il, 2008).
22. al-Naḥḥās, Aḥmad ibn Muḥammad. "i‘rāb al-Qur’ān". (Ṭ1, Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1421h).
23. al-Nasafī, Allāh ibn Aḥmad. "Madārik al-tanzīl wa-ḥaqā’iq al-ta’wīl". taḥqīq: Yūsuf ‘Alī. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kalim al-Ṭayyib, 1998M).
24. al-Qaysī, Makkī ibn Abī Ṭālib. "al-Hidāyah ilá Bulūgh al-nihāyah fī ‘ilm ma‘ānī al-Qur’ān wa-tafsīruh, wa-aḥkāmuhu, wa-jumal min Funūn ‘ulūmuhu". (Ṭ1, al-Shāriqah : Jāmi‘at al-Shāriqah, 2008M).

د. إيمان بنت عبد الله العمودي

25. al-Qazwīnī, Aḥmad ibn Fāris. "Maqāyīs al-lughah". (Dār al-Fikr, 1979m).
26. al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. "al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān". taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish. (ṭ2, al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1964m).
27. al-Qushayrī, Muslim ibn al-Ḥajjāj. "Ṣaḥīḥ Muslim". taḥqīq : Muḥammad Fu’ād ‘Abd-al-Bāqī. (al-Qāhirah : Maṭba‘at ‘Isá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, 1955m).
28. Al-Raghib Al-Isfahani, Al-Hussein bin Muhammad. "Vocabularium in Strange Qur'an". (1 edition, Beirut, Damascus: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, 1412 AH).
29. al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. "Mafātīḥ al-ghayb". (ṭ3, Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420h).
30. al-Sa’dī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Nāṣir. "Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān". taḥqīq : ‘Abd-al-Raḥmān al-Luwayḥīq. (ṭ1, Mu’assasat al-Risālah, 2000M).
31. al-Sam‘ānī, Maṣṣūr ibn Muḥammad. "tafsīr al-Qur’ān". taḥqīq Yāsir Ibrāhīm wghnym ‘Abbās. (ṭ1, al-Riyāḍ : Dār al-waṭan, 1997m).
32. al-Samarqandī, Naṣr ibn Muḥammad. "Baḥr al-‘Ulūm".
33. al-Sāmarrā’ī, Fāḍil Ṣāliḥ. "Balāghat al-kalām fī al-ta‘bīr al-Qur’ānī". (ṭ3, ‘Ammān : Dār ‘Ammār, 1998M).
34. al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. "Fath al-qadīr". (ṭ1, Dimashq : Dār Ibn Kathīr, 1414h).

توجيه الاختلاف في الأسلوب القرآني

35. al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān". taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl. (al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1974m).
36. al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. "Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān". taḥqīq : Allāh al-Turkī. (Ṭ1, Dār Hajar, 2001M).
37. al-Tha‘labī, Aḥmad ibn Muḥammad. "al-kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān". taḥqīq : Abū Muḥammad ibn ‘Āshūr. (Ṭ1, Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 2002M).
38. al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad. "al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qur’ān al-Majīd". taḥqīq: ‘Ādil Aḥmad, ‘Alī Muḥammad, Aḥmad Muḥammad, Aḥmad ‘Abd, ‘Abd-al-Raḥmān ‘Uways. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1994m).
39. al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-sirrī. "ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh". taḥqīq : ‘Abd-al-Jalīl ‘Abduh. (Ṭ1, Bayrūt : ‘Ālam al-Kutub, 1988m).
40. al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar. "al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl". (ṭ3, Bayrūt : Durr al-Kitāb al-‘Arabī, 1407h).
41. al-Zuḥaylī, Wahbah ‘aqīdah wa-al-sharī‘ah wa-al-manhaj, Wahbah al-Zuḥaylī, Ṭ1, 1411h-1991m, Dār al-Fikr (Dimashq-Sūrīyah), Dār al-Fikr al-mu‘āṣir (Bayrūt-Lubnān).
42. al-Zurqānī, Muḥammad ‘bdāl‘zym. "Manāhil al-‘Irfān fī ‘ulūm al-Qur’ān". (ṭ3, Maṭba‘at ‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā’ih).
43. Fāris al-Zayn, Muḥammad Fārūq. "bayān al-nuzum fī al-Qur’ān al-Karīm". (Ṭ1, Dimashq : Dār al-Fikr, 2003m).

د . ایمان بنت عبد الله العمودي

44. Ibn Ājurrūm, Muḥammad ibn Muḥammad. "al-Ājurrūmīyah". (Dār al-Şumay‘ī, 1998M).
45. Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad. "taḥrīr al-ma‘ná al-sadīd wa-tanwīr al-‘aql al-jadīd min tafsīr al-Kitāb al-Majīd". (Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984m).
46. Ibn ‘Aṭīyah, ‘bdālḥq ibn Ghālib. "al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz". taḥqīq : ‘Abdussalām ibn ‘bdālshāfy. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1422H).
47. Ibn Kathīr, Ismā‘īl ibn ‘Umar. "tafsīr al-Qur’ān al-‘Azīm". taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad. (ṭ2, Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1999M).
48. Ibn manzūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-‘Arab". (ṭ3, Bayrūt : Dār Şādir, 1414h).
49. Mukarram, ‘Abd-al-‘Āl Sālim. "al-mushtarak al-lafzī fī al-ḥaql al-Qur’ānī". (ṭ2, Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah, 1417h).
- Yāsūf, Aḥmad. "Jamālīyāt al-mufradah al-Qur’ānīyah". (ṭ3, Dimashq: Dār al-Maktabī, 2009M).

* * *